الباب الأول

١- الدوافع لكتابة تاريخ الحركة.

٢- المناخ الذي تأسست فيه حركة تحرير أرتريا.

٣- هل كان ميلاد حركة تحرير أرتريا ضرورة وطنية أم ترفا سياسياً؟

obeikan.com

obeikan.com

الباب الأول

١- الدوافع لكتابة تاريخ الحركة:

لماذا كتابة تاريخ حركة تحرير ارتريا الآن؟ سؤال مشروع. وإليكم الإجابة عنه بشكل مؤجز في النقاط التالية:

١- لقد مريت بتجربة في أعوام ١٩٥٤/١٩٥٨م عندما كنت أزور ارتريا في عطلاتي السنوية وأتجول بين المدن باحثاً عن حقيقة ارتريا وشعبها وقضيتها واقتصادها وتاريخها. وأذكر أنني تجولت في كل المكتبات دون أن أعثر على شيء مما كنت أبحث عنه. وفي مدينة نقفة ذهبت لمقر البعثة السويدية عندما علمت بأن لديهم مكتبة كبيرة بمنزلهم وذلك برفقة الأخ إبراهيم محمد حامد الذي أصبح فيما بعد من أعضاء الحركة النشطين. وعند سؤال رئيس البعثة وجدت لديه كتباً لا حصر لها دون أن يكون من بينها شيئاً عن ارتريا. ونفس الشيء حدث لي في اسمرا. وعندما يئست من المكتبات العامرة بشتى أنواع الكتب ما عدا عن ارتريا، فقد اتجهت إلى البقالات والتي لم تكن تبيع كتباً. ولكن في أحد دكاكين البقالة وصاحبه من الجالية اليمنية وجدت لديه نسخة من الدستور الارتري، واعتقد أنها كانت نسخة شخصية ولم تكن للبيع لوجود بقع من الزيت على غلافها. وبالرغم من ذلك باعها لي نتيجة الحاجي عليه. وكانت تلك هي الوثيقة الوحيدة التي تحصلت عليها.

أنني لم أنس تلك التجربة. ولذا ظليت الوم الجيل الذي سبقنا في النضال بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والجيل الذي قبله بأنهم لم يسجلوا التاريخ ولم يضعوا تجاربهم

أمامنا، ولم يحاولوا أن يعرفوننا بوطننا وذلك بالكتابة عنه في مختلف المجالات. علماً بأن تلك كانت فترة زاخرة بنضالات وبطولات وتضحيات ودروس هامة لم يتم تسجيلها أو توثيقها حتى الآن.

وبعد تأسيس حركة تحرير ارتريا حاولت مع المرحوم الزعيم إبراهيم سلطان لإعطائنا الوثائق التي كان يحتفظ بها لكي نكتب باسمه مؤلفاً عن تلك الحقبة من النضال. ولكنني لم أنجح معه. وهناك الزعيم السيد ولدآب ولدماريام والذي لم يكتب التاريخ مع أنه كان الأقدر بمقارنته مع أقارنه من السياسين سواء كان في الكتابة أو المعايشة. فلو كان قد كتب تجربته الشخصية في محاولات الاغتيال المتعددة التي تعرض لها، والجهات التي كانت تقوم بها ودوافعها، وصراعه المرير مع حزب الانضمام (اندنت)، لكان ذلك مفيداً لخدمة التاريخ وللجيل الحالي والأجيال القادمة. كما أن الرابطة الإسلامية وحزب الانضمام (اندنت) وكذلك الجماعات والأحزاب السياسية الأخرى التي كانت قائمة في تلك المرحلة فإنهم وحتى الآن لم يكتب عنهم شيء بأقلام من صنعوا تلك التجربة أو تصدروا لقيادتها.

وقد تحدثت إلى العم الزعيم محمد عثمان حيوتي وهو من رموز الحركة الوطنية تغمده الله برحمته، وكان ضمن أول وفد يذهب إلى الأمم المتحدة للدفاع عن قصية ارتريا، تحدثت إليه في جدة قبل أكثر من عامين، وفي اسمرا قبل عام عن هذا الموضوع. ومؤخراً جلست في اسمرا مع العم باشاي فسحا ولدى ماريام (غاندي) وهو الآن في الثانية والثمانين من عمره. وقد كان سكرتيراً لحزب استقلال ارتريا، وقد تعرض للأذى والاختطاف ومصادرة الممتلكات من قبل عصابات اندنت المسلحة. ولكن الآن وبحكم تقدم سنة فينقصه التركيز. ومن جانبي لا أود أن أقع في نفس الخطأ الذي لمت بسببه الآخرين. وهذا من دوافع كتابتي لتاريخ الحركة.

ففي الدول المتقدمة حتى من تبوأ موقعاً عاماً نلاحظ أنه يسجل تجربته ومذاكراته دعك عن قيادات وتنظيمات وأحزاب ساهمت في أحداث كبيرة ولعبت أدوارا تاريخية مثل التي شهدتها ارتريا خلال الخمسين عاماً الماضية. وكل ذلك لتعميم الفائدة والإلمام بالحقائق من مصادرها.

٢- في فترة الحركة واجهنا قهراً ومطاردات من قبل النظام الأثيوبي. وفي السودان واجهنا نفس الظروف من جانب نظام الفريق إبراهيم عبود. ولم تكن آنذاك- أثناء البدايات للحركة مكاتب خارجية أو مقرات ثابتة. ولذا كان من الصعب الاحتفاظ بالوثائق أو توزيعها على نطاق واسع، مما خلق غموضاً عنها وعن تاريخها وطبيعة عملها. وأصبحت هناك حلقة من تاريخ الثورة الأرترية والنضال الارتري غير واضحة، وهي فتاة حركة تحرير ارتريا. ولملء ذلك الفراغ وتوضيح الحقائق للأجيال القادمة وللدارسين رأينا من الأهمية بمكان كتابة تاريخ الحركة.

٣- معظم أبناء الجيل الحالي لم يعش أو يواكب مرحلة حركة تحرير ارتريا بحكم صغر سنهم. وبالتالي تنقصهم المعايشة والمعلومات عن تلك المرحلة الهامة من نضالنا. وبدأ الكثيرون منهم يتساءلون وبإلحاح عنها دون أن يجدوا الأجوبة الشافية التي تشفى غليلهم. وقد أصبح لزاماً علينا تلبية رغبة هذا الجيل.

٤- أصبح الكثيرون من المتابعين والمؤرخين يقولون بأن هناك ثغرة في تاريخ النضال الارتري وهي مرحلة (حركة تحرير ارتريا). وقد أصبحوا يلحون في الطلب بسدها. ومن هؤلاء كثيرون من الأوربيين اذكر منهم البروفيسور (ماركاكيس) الأمريكي الجنسية واليوناني المولد والأستاذ بجامعة كريت وغيره. وقد التقى بي قبل أعوام في الخرطوم كما التقى بي مؤخراً في اسمرا. وقد كتب في مؤلفه (الصراع الوطني والطبقي في القرن الأفريقي) كتب عن حركة تحرير ارتريا بشكل موجز ولا

يفي بالغرض لافتقاره للمعلومات.

٥- الكثيرون ممن ناضلوا في صفوف حركة تحرير ارتريا ظلوا يلحون ويطالبونني بكتابة تاريخ الحركة باعتباره يمثل جزء من تاريخهم النضالي، وجزء أصيل من تاريخ نضال الشعب الإرتري. وكنت دوماً أعدهم بتلبية هذه الرغبة عندما أجد الوقت المناسب لذلك. وقد استفزني أحدهم قائلاً: متى سيتأتي ذلك الوقت المناسب الذي توعدنا به دوماً والذي انتظرناه طويلاً؟ أنه لن يأتي أبداً. وهل تضمن البقاء على قيد الحياة حتى تجد الوقت المناسب مع أن الأعمار بيد الله؟ وحتى لو افترضنا أن العمر قد امتد بك، ففي هذه الحالة قد تصبح هرماً وتفقد الحماس أو القدرة على الكتابة. كما قد تفقد التركيز وقد لا تسعفك ذاكرتك. وقد اقتنعت بمنطقة وهو على صواب.

٦- تعليم الجيل الذي لم يكتو بنار الثورة ولم يعش فظائع وجرائم الاستعمار الأثيوبي، تعليمه بأن ارتريا المستقلة التي ينعم في ظلها اليوم لم تأت إلا عبر معاناة وتضحيات كبيرة لا حصر لها، وسلسلة نضالات جسورة ومنظمة ومتصلة الحلقات خاضها آباؤها وأجدادهم.

٧- أنها تحارب وارث نضالي وتاريخ تستفيد منه الأجيال القادمة. وهذا التاريخ يجب الإيموت في صدور معاصريه وصانعيه. بل هناك ضرورة ماسة لكتابته وتوثيقه وأرشفته ليس في أضابير المكاتب ودارالوثائق وحسب، بل عبر الكتب التي يسهل الحصول عليها.

٨- البعض بدأ يكتب عن الحركة دون أن يوفيها حقها سواء كان بجهل أو غرض أو لحاجة في نفسه. كما أن البعض بدأ ينسب لنفسه بطولات وأعمال لم يقم بها. ويزيف الحقائق بما يخدم غرضه، ويعطى لنفسه ألقاباً علماً بأن قيادة الحركة لم تكن تحمل ألقاباً مثل الرئيس أو الأمي العام أو السكرتير العام. وحتى اسمي كقائد لحركة

تحرير أرترياكان أسماً حركياً رمزياً فقط دون الإشارة إلى أي لقب أو منصب.

النقاط المذكورة عالية كانت هي الدافع لتأليف هذا الكتاب عن حركة تحرير أرتريا. وبهذه المناسبة أناشد كل من عاش الثورة الأرترية سواء كان في فترة الحركة أو بعدها وبالذات القيادات والكوادر المتقدمة بتسجيل تجربتهم لتصبح ملكاً للجميع. أما التقييم سواء كان لنا أو علينا فيأتي في مرحلة لاحقة عندما تكون كل الحقائق متوفرة للجميع.

٢- المناخ الذي تأسست فيه حركة تحرير ارتريا:

بدأ البعض يرفع علامة استفهام حائرة عن الجهة التي أسست حركة تحرير ارتريا؟ وينطلق من أسئلته الحائرة عن شخصية (ناود) مؤسس الحركة الذي كان يبلغ آنذاك ٢٢ عاماً من عمره. فكيف توفرت له المعرفة والإدراك وهو في هذه السن الصغيرة لتأسيس وقيادة ذلك التنظيم الذي لعب دوراً رائداً واتسم بالنضج السياسي؟

ورداً على هذا التساؤل أقول أن (ناود) وأقرانه ممن أسسوا الحركة كانوا نتاجاً لمناخ ساد ارتريا والسودان وأفريقيا والمنطقة العربية والعالم. وإذا أردنا الوصول إلى الحقيقة فإننا لا يمكن أن نعزل تأسيس وميلاد حركة تحرير ارتريا عن الظروف والمناخ الذي كان يسود آنذاك العالم بأثره. فكشباب ارتريين نعيش في الغربة كان يشدنا الحنين إلى الوطن ومراتع الصبا. كما كان يجمع بيننا إحساس بالقلق والمرارة لأننا كنا نرى بأن شعوب المستعمرات تنهض وتثور ثم تأخذ طريقها نحو الاستقلال. وبالمقابل نرى وطننا ارتريا يدخل في سراديب ما كان يسمى بالفدرالية والتي لم تكن سوى استعمار جديد. فالسودان حيث كنا نعيش كان يسوده مناخ ثوري. وكان بالنسبة لنا المدرسة الأولى التي تعلمنا منها الكثير. فقد كانت هناك الثورة المهدية وتاريخها الزاخر بالعبر. وهي الثورة الفريدة في أفريقيا كلها والتي تمكنت من هزيمة

الاستعمار الأجنبي في سلسلة معارك عسكرية وأقامت دولتها الوطنية في النصف الثاني من القرن الماضي. ثم ثورة ١٩٢٤م والتي كانت عبارة عن معركة مكشوفة في شوارع الخرطوم بالسلاح بين صغار الضباط من أبناء الشعب السوداني وبين الجيش البريطاني... مؤتمر الخريجين والأحزاب السياسية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية والتي بدأت تطالب باستقلال السودان.. والمظاهرات العارمة التي عمت كل المدن السودانية ضد الاستعمار مطالبة بالاستقلال.. والحركة العمالية السودانية التي أخذت طابعاً سياسياً ومطلبياً منذ ميلادها وسلاحها الاضطرابات والمظاهرات.

والحرب العالمية الثانية، ذلك الحدث الذي لم يشهد العالم مثيلاً له من قبل، حيث نهضت دول الحلفاء ومعها شعوب المستعمرات التي وعدت بحق تقرير المصير مقابل مشاركتها لإلحاق الهزيمة بدول المحور التي كانت تتمثل في المانية النازية وعلى رأسها الفوهرر هتلر، وإيطاليا الفاشية وعلى رأسها موسوليني ومعهما اليابان. والعمالقة الذين أداروا الحرب باقتدار على رأس دول الحلفاء وهم الرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس السوفيتي جوسيف ستالين، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل والجنرال ديجول الفرنسي.

وملاحم تلك الحرب وما أكثرها، ولكن على سبيل المثال معركة لينغراد التي دار فيها القتال من شارع لشارع، ومن بيت لبيت، ومن غرفة لغرفة بين القوات النازية وبين أبناء الشعب السوفيتي. وحرب الأنصار التي قادتها شعوب أوروبا ضد النازية وأبرزها المقاومة الفرنسية. والجنرال جوزيف بروس تيتو الذي قاد حرب عصابات ناجحة وأظهر مقاومة عنيدة ضد القوات النازية. وكان هناك المارشال جوكوف يزحف على رأس الجيش الأحمر ويزحف بقواته من الشرق، والجنرال ايزنهاور من الغرب، والفيلد مارشال مونتقمري من الجنوب من العلمين. وكلهم يخوضون معارك

برية وجوية وبحرية للقضاء على النازية والفاشية في عقر دارها في ألمانيا وإيطاليا. وقد تحقق لهم ما أرادوا ثم استسلمت اليابان بعد ذلك عندما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإلقاء قنبلتها الذرية فوق مدينة (هوريشيما) في ٦/ أغسطس/ ١٩٤٥م، ثم إلقاء قنبلتها الذرية الثانية فوق مدينة (نجازاكي) بعدها بيومين، تلك القنبلة الرهيبة التي استعملت لأول مرة في تاريخ البشرية. تلك الأحداث الجسام كانت لها انعكاساتها وسط كل شعوب العالم وشعوب المستعمرات على وجه الخصوص- ونحن جزء منها- والتي شاركت بفعالية في هذه الحرب. وكانت تنتظر أن يسفر هذا الانتصار عن تمتعها بحق تقرير المصير والاستقلال.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عشنا مناخاً آخر اشمل القارات الثلاثة، آسيا وأفريقيا وأمريكا الاتينية. وكان لهذا المناخ تأثيره المباشر على تفكيرنا وطموحاتنا الوطنية. ففي آسيا كان هناك المهاتما غاندي وزميله ورفيق دربه وخليفته جواهر لال نهرو يقودون الشعب الهندي وعلى رأس حزب المؤتمر في سلسلة معارك متنوعة ضد الوجود البريطاني ومن أجل استقلال الهند وقد تحقق لهم ما أرادوا. وبالقرب منهم محمد علي جناح يقود شعب الباكستان نحو الاستقلال. وفي أقصى القارة الأسيوية كانت هناك ثورة الصين العظيمة بقيادة الحزب الشيوعي الصيني وعلى رأسه (ماوتسي تونغ). وكانت ثورة عريقة أخذت طابعاً تحريرياً ضد اليابان وطابعاً اجتماعياً ضد الفقر والتفسخ وضد الأقطاع وضد المخدرات وأبرزها الأفيون الذي فرضه المستعمرون على الشعب الصيني. وحققت تلك الثورة انتصارها الكاسح ضد الكومنتانج بقيادة شيانغ كاي شيك وحصرته في جزيرة فرموزا بعد أن بسطت سلطتها في عموم القارة الصينية. وكان هناك في أندونيسيا القائد الفذ (سوكارنو) الذي قاد بلاده نحو الاستقلال. ومعركة (ديان بيان فو) بقيادة الجنرال جياب والتي

ألحق فيها هزيمة نكراء بالقوات الفرنسية في فيتنام.

وبجانب تلك الأحداث ألكبيرة في آسيا كانت هناك أحداث لا تقل عنها أهمية تدور في القارة الأفريقية. فقد كانت هناك (الماوماو) في كينيا ورمزها (جومو كينياتا). وكوامي نكروما رمزاً استقلال غانا. وأحمد سيكوتوري وتحديه للجنرال ديجول وانتزاع استقلال بلاده غينيا. ومقاومة شباب الأخوان المسلمين في مصر وعملياتهم الفدائية في قنال السويس ضد الوجود البريطاني. وثورة الجيش في مصر في يوليو ١٩٥٢م بواسطة الضباط الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب والبكباشي جمال عبد الناصر وزملائهم من صغار الضباط والتي قضت على عرش أسرة محمد علي بخلعها للملك فاروق وأعلنت الحكم الجمهوري لأول مرة في تاريخ مصر. كما كانت لتلك الثورة مضامينا ثورية وتحررية واجتماعية تمثلت في جلاء القوات البريطانية عن مصر بعد احتلال دام قروناً طويلة، وتحرير الفلاح بإلغاء الإقطاع، وإتاحة العلم والتعليم ثم التصنيع وتأميم قنال السويس. كما كانت لهذه الثورة آثاراً بعيدة في عموم القارة الأفريقية عندما جعلت من القاهرة مركزاً ومنطلقاً لكل حركات التحرر الأفريقية. وعندما تضايق المستعمرون وشعروا بخطورة الثورة المصرية وفشلوا في احتوائها قاموا بالاعتداء عليها بالتدخل الثلاثي المشهور في السويس عام ١٩٥٦م والذي قادته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.

وصمد الشعب المصري أمامه. وجسد ذلك جمال عبد الناصر في صيحته المشهورة التي أطلقها داخل الأزهر الشريف (سنقاوم.. سنحارب). وفشل التدخل في تحقيق أهدافه التي كانت القضاء على الثورة المصرية. ثم كانت ثورة المليون شهيد في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي والتي تلاحمت معها شعوب العالم وكللت بالنصر واستقلال الجزائر. وكان هناك مؤتمر (باندونج) الشهير الذي كان حشداً لدول العالم الثالث

والتي انتزعت استقلالها حديثاً ويتقدمها العمالقة من أمثال (شوان لاي) رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية، وأحمد سوكارنو رئيس جمهورية إندونيسيا، وجواهرلال نهرو رئيس وزراء الهند، جوزيف بروس تيتو رئيس جمهورية يوغسلافيا، والشاب الثائر جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر. وكان هذا المؤتمر علامة فارقة بشعاراته التي تبناها عن الحياد الإيجابي وعدم الانحياز بين المعسكرين الشرقي والغربي.

وقارة أمريكا اللاتينية رغم بعدها عنا إلا إننا كنا نقرأ عنها ونتابع أحداثها. كنا نقرأ كتابات جورج امادو وأبرزها (فارس الأمل). كما كنا نشاهد ما تعرضه السينما عن (ذاباتا) قائد ثورة المكسيك. أيضاً كنا نتابع أحداث الثورة الكوبية وهجوم كاسترو على قلعة (مونكادا) في قلب هافانا واعتقاله ودفاعه الرائع في المحكمة عن نفسه وهروبه من السجن وقيادته لثورته الشهيرة من جبال (سيرا مايسترا) والتي توجت بانتصاره على نظام (باتيستا) ودخوله ظافراً إلى هافانا. وهناك الثائر (جيفارا) الذي أصبح مثلاً وقدوة، شكلاً ومضموناً، للشباب الثائر في العالم.

إننا لم نكن نكتفي بمتابعة نضالات وأخبار الشعوب في القارات الثلاثة فقد كان هناك من هو أكثر منا علماً وإطلاعاً وتجربة. وأمثال هؤلاء كانوا يوجهوننا لقراءة كتب منتقاة. وبعد قراءتها كنا نعقد جلسات لمناقشة واستعراض ما وعيناه منها. وكان الكتاب بالنسبة لنا رفيقاً دائماً مما جعلنا في حالة نهم وجوع للمعرفة والإطلاع. والكثير مما قرأناه ووعيناه لازال محفوراً في الذاكرة. فقد قرأنا كثيراً عن (كوميونة باريس) ومآثر وقصص الثورة الفرنسية وتحطيمها لسجن الباستيل. كما قرأنا عن معركة الفلاحين المصريين في (دنشواي). ومما تعيه الذاكرة من قراءاتنا (حرب النهر) (لونستون تشرشل) عندما كان مراسلاً حربياً في شبابه ورافق الجنرال امدرمان وسجل المقاومة الباسلة لجيش الدولة المهدية. كتابات (ويلز) الخيالية عن عزو

الفضاء والسفر بين النجوم والتي حققها العلم من بعده لتصبح حقيقة بعد أن كانت خيالاً.. والديمقراطية الجديدة لماوتسي تونغ.. ومن الأدب الثوري والكلاسيكي الروسي كتاب الأم.. والفولاذ سقيناه.. والدون الهادئ.. والحرب والسلام. ومن الأدب الثوري الأمريكي قص الكاتب الأمريكي ريتشارد رايت.. ومن الأدب المصري أشعار كمال عبد الحليم وعبد الرحمن الخميسي... وقصة (الأرض) والفتى مهران لعبد الرحمن الشرقاوي.. ومن كتب توفيق الحكيم (عودة الروح) و(يوميات نائب في الأرياف) و(عصفور من الشرق).. و(كتاب الأيام) لطه حسين. وهذا قليل من كثير من الكتب التي تأثرنا بها وكنا ننصح غيرنا بقراءتها.

ومن أساتذتنا الذين تأثرنا بهم كثيراً في مدينة بور تسودان وكانوا قدوة لنا في الوطنية والتضحية محمد عبد الجواد- عبد الرحمن عبد الرحيم الوسيلة- سيد طاهر فكي- علي أنور عبد الله- حبيب مدثر وعباس علي. كنا نتلقى العلم على أيديهم في حجرات الدراسة صباحاً. كما كنا نشاهدوهم وهم يقودهم المظاهرات الصاخبة ضد الاستعمار ويتعرضون للاعتقال والسجن.. ويقيمون الندوات والليالي السياسية.. وكنا ننظر إليهم بإعجاب شديد ونتمنى أن نكون مثلهم في يوم من الأيام. كما كنا نشارك في المظاهرات التي يقودونها ونحضر الليالي السياسية يناضلون ضد الاستعمار وفي هذا كان لنا موقفنا الثابت وهو إننا معهم في تلك المعركة.

كل تلك المتابعات والقراءات والمعايشة جعلتنا نحس بأننا لسنا وحدنا، بل نحن جزء من معسكر الشعوب الثائرة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. وكان شعارنا: (أن انتصار الثورة في أي مكان يعني انتصارها في كل مكان). وكل ذلك صاغ ذهنية وشخصية وتفكير شباب ذلك الجيل الارتري الصاعد وتمثل في عشقه للحرية وبغضه للاستعمار، وتميز بحماس وتطلعات وطنية تغلب عليها العاطفة الجياشة. لذا

فإن حركة تحرير أرتريا نكون قد ظلمناها، كما نكون قد ابتعدنا عن الحقيقة عندما نحصرها- كظاهرة معزولة- في شخصية مؤسسها وقائدها ناود. وباختصار شديد أن حركة تحرير ارتريا وميلادها كان يمثل (موقفاً متكاملاً) لجيل ارتري بأكمله.. جيل من الشباب المتطلع الثائر والذي لا يعرف معنى للمستحيل. ولديه كل الاستعداد للتضحية بأغلى ما يملك. جيل متشبع بقيم وأهداف ومبادئ يريد تحقيقها ونشرها وترجمتها على أرض الواقع مبتدئاً بنفسه ودفع الآخرين من ورائه والإنطلاق بهم ومعهم إلى الأمام.

كان ذلك في المناخ الذي ولدت فيه (حركة تحرير ارتريا)، وهو مناخ ساد العالم والقارات الثلاثة على وجه الخصوص. وقد أفرز ذلك المناخ حركات وطنية وملاحم ثورية وبطولات أسطورية كانت تناضل في سبيل تحقيق تطلعات وطموحات شعوبها. ولم تكن ارتريا استثناء وقد شملها ذلك المناخ بتأثيراته فكان ميلاد حركة تحرير ارتريا.

٣- هل كان ميلاد حركة تحرير ارتريا ضرورة وطنية أم ترفاً سياسياً؟

أن نضالات الشعوب هي سلسلة متصلة الحلقات. وشعبنا ليس استثناء من ذلك. فمنذ أن وطأت أقدام المستعمر الأراضي الأرترية لم يخل جزء من وطننا إلا وغمرته ثورات وانتفاضات ومقاومة أخذت أشكالاً متنوعة. وللأسف لم تجد تلك الملاحم حتى اليوم من يقو بالتنقيب عنها وتسجيلها وتوثيقها. والجيل الذي قام بتأسيس حركة تحرير ارترياو الأجيال التي تلته هي إمتداد طبيعي لجيل الآباء والأجداد الذين خاضوا تلك المعارك البطوليه. وهذا ينطبق على حركة تحرير ارتريا حيث كانت إمتداد لما قبلها. وعليه فقد كانت ظاهرة طبيعية ولم تكن نبتاً شيطانياً أو ترفاً سياسياً.

ولكي نصل إلى الإجابة الصائبة للتساؤل المطروح عاليه: هل كان ميلاد حركة تحرير ارتريا ضرورة وطنية أم ترفاً سياسياً؟ فنحن مطالبون بشرح الظروف التي كانت تسود الوطن الأرتري قبل وأثناء ميلاد حركة تحرير ارتريا.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا ودخول القوات البريطانية ارتربا، عقد مؤتمر الصلح في بارسي والذي حضرته كل من الولايات المتحدة، الإتحاد السوفيتي، المملكة المتحدة (بريطانيا) وفرنسا. وفي هذا المؤتمر تقرر تصفية المستعمرات الإيطالية السابقة في أفريقيا وهي ليبيا- ارتريا. وكان قطاعاً واسعاً من شعبنا يناضل من أجل الإستقلال. ومن مبتكراته وإبداعاته تكوين (الكتلة الإستقلالية) التي كانت تكتلا لعدد من الأحزاب السياسية التي ارتضت بالاستقلال كهدف مشترك.

والإعلان الصادر عن الكتلة الاستقلالية بهذا الصدد خير دليل على ما نقول. ولتعميم الفائدة ننشر النص الكامل لهذا الإعلان كما هو:

الكتلة الاستقلالية الأرترية:

إن الأحزاب والجمعيات السياسية الآتي ذكرها:

١- الرابطة الإسلامية.

٢- حزب الأحرار والتقدم.

٣- حزب ارتريا الجديدة.

٤- جمعية قدماء العساكر المحاربين الأرتريين.

٥- جمعية الإيطاليين الارتريين.

٦- الحزب الوطني.

٧- حزب ارتريا المستقلة.

أ) بالنظر لرغبات الشعب الاتري الرامية إلى الاستقلال الناجز.

ب) لحق تقرير المصير المخول للشعوب بمقتضى نظام هيئة الأمم المتحدة.

ج) بما أن الشعب الأرتري بأكمله بدون فرق في الديانة والجنس واختلاف الأحزاب السياسية يعارض فكرة تقسيم الوطن العزيز ارتريا.

د) بالنظر للاتفاق الذي حصل في دقي محري يوم ٢٢/ ٢٦ جونيو ١٩٤٩م بين جميع ممثلي الأحزاب والجمعيات السياسية الأرترية ويوم ٢٤ يوليو ١٩٤٩م في اسمرا.

نعلن نحن الأحزاب السياسية المذكورة أعلاه بإننا كونا الكتلة الاستقلالية الإرترية التي يتلخص برنامجها السياسي فيما يلي:

١) إحراز الاستقلال الناجز لارتريا.

٢) تأليف حكومة ديمقراطية.

٣) الاحتفاظ بوحدة الأراضي الأرترية داخل حدودها الجغرافي الحالي.

٤) رفض أي مشروع يهدف إلى تقسيم ارتريا كاقتراح بيفن- سفورزا أو ضم أي جزء منها إلى أثيوبيا أو إلى السودان وعلى وجه الخصوص رفض أي مشروع يرمي إلى ضم ارتريا إلى أي بلد أو حكومة كانت.

سكرتاري الأحزاب:

إبراهيم سلطان علي- الرابطة الإسلامية.

اسمروم ولد قرجيش - حزب الأحرار والتقدم.

قرنكئيل براخي - حزب ارتريا الجديدة.

علي إبراهيم - جمعية قدماء العساكر المحاربين الأرتريين.

مكيلي بوليرا – جمعية الإيطاليين الارتريين

أحمد عبد القادر بشير – الحزب الوطني.

عبد الجليل محمد شيخ – حزب ارتريا المستقلة.

هذا هو نص الإعلان الصادر عن الكتلة الاستقلالية. وقد كان تكوين الكتلة الاستقلالية من أهم إبداعات الشعب الأرتري. وكانت تلك الخطوة يتمثل فيها الطموح المشروع لشعبنا وذلك بنيل استقلاله الوطني.

وعندما فرض على شعبنا النظام الفيدرالي بواسطة الجمعية العامة للأمم المتحدة وبالتواطؤ مع الإمبراطور هيلاسلاسي فقد كانت هناك مرارات وخيبة أمل سادت ساحتنا الأرترية. وكان لابد وأن تفرز شيئاً جديداً، بعد أن حظرت الأنشطة السياسية في شتى أشكالها. خاصة وأن النتيجة لنضالات شعبنا كانت أقل بكثير من طموحاته ومن ثم النضالات التي خاضها.

ورغم ما حققته الإمبراطورية الأثيوبية من نجاح، عندما خلقت إنشطاراً طائفياً وسط شعبنا، وعندما وقفت عقبة كأداء أمام الاستقلال ارتريا فإنها أيضاً لم تكن راضية بتلك النتيجة وهي النظام الفيدرالي بينها وبين ارتريا. بل كان طموحها هو ابتلاع ارتريا بكاملها وجعلها مجرد مقاطعة ضمن مقاطعاتها الأخرى. وهذا ما كانت تنادي به داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة عندما كانت القضية الأرترية تناقش في أروقتها لثلاث دورات متتالية. ولتحقيق هذا الهدف فإن أثيوبيا شرعت في سلسلة إجراءات ومخططات نؤجزها على النحو التالي:

١ – حظر أنشطة الأحزاب السياسية والنقابات العمالية.

٢ – منع حرية التعبير من صحافة واجتماعات وتظاهرات.

٣- تجميد الدستور الأرتري واستبداله بالقوانين العرفية مثل المادة عشرة المشهورة والتي بموجبها كان يتم الاعتقال التحفظي إلى ما شاء الله.

٤- تخريب الاقتصاد الأرتري ونشر البطالة. وقد تمثل في:

أ. تفكيك المصانع التي كانت قائمة في ارتريا وشحنها إلى أثيوبيا وتشريد العمالة الإرترية.

ب. الفرض على الشركات الأجنبية العاملة آنذاك في أرتريا لتنقل أنشطتها الاقتصادية والتجارية إلى أثيوبيا الأمر الذي أدى إلى مزيد من العطالة. وهنا بدأ نزوح العمال الأرتريين إلى الخارج. وكانت المرة الأولى التي يذوق فيها الأرتريون الاغتراب والابتعاد عن الأهل والوطن. وفي نزوحهم أخذوا اتجاهين: إلى المملكة العربية السعودية والسودان. فوجدوا هناك ترحيباً ومعاملة طيبة. ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب حيث أن ارتريا وقبل أن تصبح بلداً طارداً كانت بها جالية كبيرة من اليمن والسعودية والخليج والسودان وكانوا يعملون بالتجارة والزراعة والتعليم وحرف أخرى وكانوا يعيشون وسط الارتريين، كأنهم جزء منهم.

ج. النهب الاقتصادي ومن أبرز أشكاله استيلاء أثيوبيا على عائدات الموانئ والمواصلات والملح. وهذا بدوره دفع الحكومة الأرترية للاعتماد على الضرائب لتسيير دولاب عملها وأثقال كاهل المواطن بهذه الضرائب.

د. تأجير جزء من أراضينا مثل قاعدة (قانيواستيشن) في اسمرا للولايات المتحدة الأمريكية مقابل ملايين الدولارات كانت تذهب سنوياً للخزينة الأثيوبية.

٥- أنزال العلم الارتري والاكتفاء بالعالم الأثيوبي تمهيداً لضم ارتريا وإنهاء

الكينونة الأرترية المميزة.

٦- تغيير شارات وأختام (الحكومة الأرترية) واستبدالها (بالإدارة الإرترية) تمهيداً لضم ارتريا.

٧- حظر اللغتين الرسميتين وهما العربية والتجرينية وفرض اللغة الامهرية مكانهما.

٨- توسيع سلطة وصلاحيات ممثل الإمبراطور في ارتريا بحيث أصبح هو الحاكم الفعلي متجاوزا الحكومة الأرترية وله حق التدخل المباشر في كل صغيرة وكبيرة.

النقاط السالفة الذكر كانت جزء من سلسلة الإجـراءات التي قامت بها الإمبراطورية الأثيوبية تمهيداً لإبتلاع ارتريا. ولم يكتف الأثيوبيون بما فعلوه من قبل عندما مزقوا شعبنا على أساس طائفي وحرموه بذلك من وحدته الوطنية. ولاستكمال مخططاتهم الجديدة فقد عادوا لتعميق الخلافات بين شعبنا. وفي هذه المرة على أساس طائفية وإقليمية وقبلية. فقد شغل الأثيوبيون قطاعاً واسعاً من شعبنا وبالذات المتعلمين في التنافس حول الفتات من الوظائف الهامشية والخدمات القليلة. وبالتالي تشجيع وتحريك النعرات الطائفية والإقليمية والقبلية. وأجادوا لعبة (تحريك الخيوط) من وراء الستار وضرب هذا بذاك. ومن ثم الانشغال ببعضنا البعض متناسين العدو الرئيسي والقضية المركزية وهي قضية الوطن الأرتري.

وأمام تلك الهجمة الشرسة التي قام بها الأثيوبيون فإن الأحزاب السياسية الكثيرة التي كانت قائمة في فترة تقرير المصير قد تلاشت من الوجود وكأنها لم تكن بعد أن حظرت السلطات الأثيوبية أنشطتها. وللأسف لم تبتدع أو تبتكر وسائل وأنماط نضالية جديدة، ولذا فإن شعبنا لم يجد حزباً أو تنظيماً يقود نضاله. ولذا لجأ

للانتفاضات والمظاهرات الطلابية والإضرابات العمالية العفوية. أمام ذلك فقد كان رد السلطات الأثيوبية عنيفاً. فقد واجهت الإضرابات العمالية والمظاهرات الطلابية بالرصاص. كما لجأت لأسلوب الاغتيالات والسجون الجماعية والتعذيب الجسدي الوحشي والمطاردة والتشريد للعناصر الوطنية.

عندما كانت هذه هي حالة ساحتنا الأرترية، وكان شعبنا يئن وحيداً ويتجرع المرارة ويواجه القهر ويحس بالظلم والامتهان لكرامته ظهرت له بارقة أمل تمثلت في الركن الإذاعي من القاهرة الذي بدأ يوجهه السيد ولدآب ولدماريام. وهنا انتعشت الآمال. وبدأ الأرتريون يتعشمون بأن صوتهم ومعاناتهم ستصل إلى أسماع العالم وإلى الأمم المتحدة التي كانوا لا يزالون يأملون في تدخلها لإنقاذهم. ولكن ذلك الأمل لم يدم طويلاً. فقد توقف الركن الإذاعي من القاهرة وغاب صوت السيد ولدآب ولد ماريام الذي كان يصلهم عبر الأثير. وكان ذلك صدمة كبيرة لقطاع واسع من شعبنا.

ومرة ثانية ينتعش الأمل في نفوس شعبنا. وفي هذه المرة تمثل الأمل في خروج الأستاذ محمد عمر قاضي المحامي وسفره إلى القاهرة ومنها إلى أمريكا لرفع شكواه بأسم الشعب الأرتري إلى الأمم المتحدة ضد الحكومة الأثيوبية وتجاوزاتها والتي لم تحترم النظام الفيدرالي. وعاد الأمل يداعب النفوس. وأصبح الأرتريون يتسقطون أخبار السيد محمد عمر قاضي وتحركاته واتصالاته متعشمين بأن الفرج سيأتي معه.

وكان بعض الأصدقاء السودانيين قد ساعدوا السيد محمد عمر قاضي أثناء مروره بالسودان وتوقفه بالخرطوم، في وضع كتيب عن القضية الأرترية وطبعه في الخرطوم. وبدأت الجالية الأرترية في السودان والفرح يغمرها في شراء وتوزيع وبيع ذلك الكتيب. وعند وصول السيد محمد عمر قاضي إلى القاهرة فإن الحكومة المصرية ساعدته بالتذاكر والمصاريف للسفر إلى أمريكا.

عند وصول السيد محمد عمر قاضي إلى أمريكا حاملاً مذكرته القانونية عن تجاوزات أثيوبيا للقرار الفيدرالي وقام بتوزيعها لدى أعضاء الأمم المتحدة فقد اتصلت به بعثة أثيوبيا لدى الأمم المتحدة وحملت له رسالة من الإمبراطور هيلاسلاسي يعطيه فيها كل الضمانات بعدم التعرض له، ومطالبته بالعودة إلى أديس أبابا مع استعداد الإمبراطور للقاء به والاستماع إلى شكواه ومعالجة الأمر والاستجابة لمطالبة. وفي الحال حزم السيد محمد عمر قاضي حقائبه وعاد إلى أديس أبابا متعشماً في صدق الضمانات التي اعطيت له وفي تنفيذ الوعود التي سمعها. وفي أديس أبابا لم يقابله الإمبراطور ولكن قيل له ريثما يدرس الإمبراطور مذكرتك يمكنك الذهاب إلى ارتريا واللقاء بأهلك هناك.

عاد محمد عمر قاضي إلى ارتريا. وبدون حذر أو تحفظ بدأ لقاءاته بالوفود التي تقاطرت لزيارته من شتى أنحاء ارتريا. وأصبح يشرح لهم ما قام به من أنشطة مؤكداً لهم عشمه في وعد الإمبراطور عندما يدرس شكواه ويبت فيها. ولم يطل به المقام، فقد تم اعتقاله في الحال. وبشكل سريع تم تقديمه للمحاكمة حيث حكمت عليه المحكمة بعشرة أعوام سجناً. وللمرة الثانية يخبو الأمل وسط شعبنا وتسد أمامه كل المنافذ والأبواب. ويحس بإنه وحيد ليس له نصير أمام ما يتعرض له من ظلم واضطهاد.

لقد كانت تلك هي الظروف التي سبقت تكوين (حركة تحرير ارتريا) وكانت من أسباب تكوينها. وبهذا فإن تأسيس الحركة كان استجابة وطنية ولم يكن مجرد تطلعات فردية. بل نستطيع القول أن ميلاد حركة ارتريا كان ضرورة وطنية جاءت في وقتها.

كان هناك ظلام دامس يعم ارتريا من أقصاها إلى أدناها. كان هناك ظلم وحرمان للحقوق المشروعة للشعب الأرتري من قبل المجتمع الدولي بأسره والذي لم يستجب لصرخاته ونداءاته وحقوقه المسلوبة. بل أن المجتمع الدولي قابل ذلك بصمت

رهيب.. كانت هناك سجون. ومعتقلات وتشريد وتعذيب وبطش جماعي... ولم يكن هناك مجال لممارسة السياسة كهواية أو ترف أو كوسيلة للجاه والسلطة والمال ورغد العيش.

كان هناك خيار وحيد أوحد وهو تصدر الشعب الأرتري ومقارعة الاستعمار الأثيوبي ودفع الثمن كاملاً وهو الروح. وفي ظل هذه الظروف خرجت حركة تحرير أرتريا من رحم معاناة الشعب الأرتري والذي وجد فيها متنفساً وأملاً. وبالتالي تسابق للانضمام إليها دون تردد. ولذا فإن ميلاد حركة تحرير أرتريا كان ضرورة وطنية ولم يكن ترفاً سياسياً.